يعمل بصمت..

الدكتور يحيى سهل (باحثاً) بعد الأُستاذية

سعيد علي نور

في الصيف الماضي أَهداني الصّديقُ العزيز الأُستاذ الدكتور يحيى قاسم سهل أربعةَ كتب: اثنين في القانون, وهو مجال تخصصه, وثالثاً عن الموسيقى والغناء، ورابعاً عن الفنان الراحل محمد عبده زيدي, وهي عادة تعوَّدتها منه كلما صدر له كتاب, في سياق نشاطه البحثي المستمر.

غير أن ما دعاني إلى هذه الوقفة المتأخرة, مع بعض ما يصدره الدكتور سهل, لا يتعلّق بإنتاجه العلمي والثقافي, في تخصصه وغير تخصصه وحسب, بل قبل ذلك يتعلق بكونه لا زال يتشبّث بصفة (الباحث) ويمارسُ البحث في القانون وفي الثقافة العامة, الفنية والمجتمعية, على حينَ نجد كثيراً منَ أساتذة الجامعات قد توقفوا بالبحث عند نيل الشهادة العُليا, وفي أحسن الأحوال بعد الحصول على اللقب العلمي (الريازة)!.

من هنا يكتسب النشاطُ البحثي الذي يتصدى له الدكتور يحيى سهل أهمية الإشارة إليه والإشادة به, بما له وما عليه بالكيفية التي تتعلّق بتكوينه الثقافي وتخصصَه العلمي:

عندما كُنّا طلّاباً في الجامعة, وهو في كلية الحقوق وأنا في كلية التربية العُليا, كانت تجمعُنا لقاءاتٌ متباعدة, يُحدِّثني فيها عن قراءاته في القصة

والرواية والشعر, وكنت أحسُّ أنه على درجة من الاهتمام بالثقافة والاطلاع على الأدب يتفوَّق فيها على بعض زملائي في قسم اللغة العربية. وفي الوقت نفسه كان متفوِّقاً في دراسته الحقوقية على النحو الذي جعله عضواً في هيئة التدريس بعد تخرجه في كلية الحقوق.

لقد أصدر الدكتور سهل كتُباً في تخصصه قبل نيله شهادتي الماجستير والدكتوراه وظل باحثاً بعد نيلهما, فإلى جانب المباحث القانونية قرأنا له في الثقافة المجتمعية مجلداً ضخماً عن « المجتمع المدني في عدن» جمع فيه عدداً من الوثائق التاريخية, على نحو جعل من هذا الإصدار مرجعاً لا غنى عنه لكل من يتصدّى للتاريخ الاجتماعي والسياسي في عدن في القرن الماضي.

بالتزامن مع الكتاب (أعلاه) صَدَرَ له كتابٌ عن الفنان القدير سعودي أحمد صالح, فكان بمثابة لفتة كريمة إلى فنان لم ينل حقة من الاهتمام.

من آخر إصدارات الدكتور يحيى, التي وصلتني كتابان: أحدهما عن الحركة الفنية (الموسيقى والغناء – مدخل ببلوجرافي) والآخر بعنوان (محمد عبده زيدي – كبير جاء في زمن الكبار) إلى جانب كتابين في القانون (السهل في التشريعات المالية والمصرفية) وما يهمنا في سياقنا هذا هما الكتابان الأوّلان: فكتابُ المدخل الببلوجرافي في الموسيقى والغناء لا يمكن النظر إليه من زاوية كونه جهداً جمعيا يلم الشتات وحسب, على أهمية هذا الجهد, ولكن بوصفه إنتاجاً جديداً يملأ فراغاً في المكتبة العربية من حيث أن يؤرّخ للفن في قُطر عربي له تاريخه الفني المؤثر في الإقليم والوطن العربي الكبير.

أما كتابه عن الزيدي , وإن بدا أقل أهمية من الأول , فإن ما يحسب لصاحبه فيه هو ذلك التكريم لفنان ظُلِمَ في حياته وبعد مماته, غير أني كنت أتمنى على الدكتور سهل لو أنه أرجأ إخراج الكتاب حتى يتمكن من العثور على إضافة جديدة عن حياة الزيدي وفنه, لأن ما نُشر في الكتاب كان من قبيل تحصيل الحاصل. أعود فأقول أن الدكتور يحيى صيَّر ذلك الحاصل منشوراً بعد أن كان شفاهياً, وربما رأى الدكتور أن حياة الزيدي وفنه لا تخرج عن حدود ما نُشر في الكتاب فنشرَه كما قرأناه.

ما ينبغي أن يعرفه القارئ أن الدكتور يحيى يجمع مواد كتبه الثقافية والوثائقية, بجهد شخصي, من مراكز التوثيق ومن أفواه المعنيِّين, وبمساعدة آخرين من القائمين على تلك المراكز ممن يذكرهم في مقدماته, ثم يفرز ما جمع ويفحصه ويرتبه وينشره على حسابه الخاص, من حرِّ ماله, وهذا يُحسبُ له بامتياز, لأنه يُريد به وجه الله وخدمة البحث العلمي المحايد, وليس لأحد عنده من نعمة تجَزى.

بقي في نفسي ملاحظتان همستُ بهما إلى الصديق العزيز يحيى قاسم عبر الهاتف وآثرت نشرهما, إمعاناً في الحيادية, تتعلقان باللغة والطباعة: أما اللغة فإن حالَها عامة عند غير المتخصصين فيها من أساتذة الجامعات, ,وأبعد من ذلك نجد كثيراً جداً من أساتذة اللغة العربية في أسوأ حالات الإعراب والتعبير, سواء تكلموا أو كتبوا!. أما الطباعة فإن كوادر الصف والتنضيد عندنا لا يمتلكون ثقافة لغوية تمكنهم من تصحيح الكتاب, بل ولا حتى ثقافة إملائية, فهم يدخلون آخر حرف من الكلمة في أول حرف من الكلمة التي تليها, وليس لدى معدّي الطباعة عندنا مصححون لغويون, بمعنى أننا لا نمتلك دور نشر بالمعنى المتعارف عليه عالمياً, أما دار النشر التابع لجامعة عدن فإن أقل ما يوصف به أنه أسوأ دار نشر في التاريخ الحديث والمعاصر!.

التشبع بالوطنية ونبذ المماحكات السياسية

م. فوازالحميدي

تغليب حب الوطن على المصلحة الشخصية حب الوطن بتخليد مكانته في القلوب، حب الوطن أمور يجب اتباعها لغرس حب الوطن في النفوس،،

مقدمة (والله يا مَكة إنّك أحبّ البلاد إليّ وَلَوْلا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ) بهذه الكلمات علّمنا رسول الله صلي الله عليهم وسلم حب الوطن وزرع فينا الإنتماء له، إنّها مكة الوادي الصحراوي الذي تحيط به الجبال من كل ناحية، تلك المدينة التي تبلغ فيها درجة الحرارة 60 مئوية ولا تنقص عن 40 مئوية، تلك الأرض المباركة الصحراء الجرداء التي لا ينمو فيها نبات ولا يوجد بها زرع ولا يعيش فيها حيوان، ورغم ذلك كله أحبّها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها أولاً البلد الذي ولد فيه وعاش فيه وترعرع فيه وعاش طفولته، وعاش فترة شبابه وفي نفس الوقت، البلد الذي طرد منه وعذّب فيه وحورب وقوتل وذاق الويلات فيه، إلى أن تم تهجيره منها إلى المدينة.

كلمات في حب الوطن ما أجمل الوطن، وما أحوجنا اليوم في مجتمعنا الجنوبي أن نحيا هذه المشاعر والأحاسيس والمعاني التي عاشها رسول الله، في الوقت الذي يتداعى فيه شبابنا الجنوبي في كل ناحية وصوب الى الهجرة من أوطاننا، لنعمر أوطاناً غير أوطاننا ونبني صروح ومدن ومصانع وجامعات في بلاد ليست من بلاد العرب، لا سيما وبلدنا أحوج ما تكون لهذه الطاقات والكفاءات والعقول والامكانيات والخبرات.

لقد كنا في مدارسنا نغني بلاد العرب أوطاني،

فحب الوطن إيمان وحب الايمان أوطان، وكنا محض أطفال تحركنا مشاعرنا ونسرح في الحكايات التي تغني بطولتنا، وحين كبرنا سرعان ما تبددت أوهام كنا تعلمانها وعشناها في حب أوطاننا، لأننا كنا نؤمن أن الوطن هو الذي ولدنا فيه و مسقط رأسنا، وسرعان ما أصبحنا نؤمن أن الوطن هو الذي فيه كرامتنا وفيه معاشنا وفيه حياتنا، ليكون لسان حالنا : ليتنا لم نكبر ولم نعرف ولم نَعِ. تغليب حب الوطن على المصلحة الشخصية لقد تمّ تفريغ حب الوطن من مضمونه وخلا من قلوب الجميع إلّا ما رحم ربي ومن بعض المناهج التعليمية في المدارس فقط، لنجد المصالح الشخصية مقدمة على مصلحة الوطن وحب الوطن، لنختزل حب الوطن فقط في الرئيس أو النظام الحاكم، ونسينا أن الوطن دائماً أكبر من الجميع وفوق الجميع، فليس حب الوطن قصيدة تلقى على الإذاعة المدرسية، أو مجسم على شكل خريطة توضع في البيوت وعلى الجدران،

إنّ حب الوطن ثقافة نحن أحوج ما نكون إليها في كل ما نقوم به،

فمهما حدث فالوطن هو الأفضل، وكما قال الشاعر: بلدي وإن جارت عليا عزيزة وأهلها وإن ضنوا علياً كرام، لقد كنت أسأل أبي وأنا طفل صغير عندما كنا نجلس على التلفاز الأردني قبل ظهور الفضائيات حينما كنت أرى يومياً شعار (الله، الوطن، الملك) قلت لأبي : ماذا يعني هذا ؟ فقال لي: هذا الشعار موجود عند الشعب الأردني الشقيق في كل مكان وهم يحبون وطنهم ويحبون ملكهم كثيراً،،

حب الوطن بتخليد مكانته في القلوب فالوطن فيه البيت والطفولة والأصدقاء والجيران والأقارب والكرامة والعزة و من أجل وطننا الحبيب استشهد العشرات بل الآلاف وروووا بدمائهم ترابه وأرضه في كافة نواحيه من باب المندب إلى المهرة، حب الوطن تغنى الشعراء ونظموا القصائد والأبيات التي تفيض بحب الوطن والانتماء إليه بمشاعر ينبع منها الصدق والشوق والحب حتى قال أحدهم : كم من منزل في الارض يحبه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل، وقال آخر: دفنتَ ربيع عمرك في بلاد لها طالت ليالِيك القصارُ، إذا لم تحوِ تربتها حجارا، فبين ضلوع أهليها الحجار، وقال آخر : مهما يَجِر وطني علىّ وأهلَه فالأهل أهلي والبلادُ بلادي، إنه حنين الاشتياق ولوعة الفراق وصبر على ظلم ذوي القربى في سبيل حب الوطن، فمن عاش الغربة عرف قيمة الوطن ومن عاش ذل الغربة اشتاق إلى الوطن وشمس الوطن وتراب الوطن وهواء الوطن ورائحة الوطن، فليس غريباً أن تقوم إحدى الشركات الأجنبية بتعبئة هواء المدن في بعض دول العالم في أكياس بلاستيكية وبيعه للناس، قد تبدو الفكرة غريبة ومستحيلة ولكن لا يمكن لوم المشتاق إلى وطنه في أشواقه حتى تكون أحشائك في أحشائه،

فكل شعوب الأرض لها أوطان تعيش فيها إلّا نحن؛ فلنا وطن يعيش فينا. علامات حب الوطن ليس حب الوطن فقط كلمات ننظمها ومشاعر نعبر عنها ودموع نجهش بها وصفحات تعبير نكتبها لأبنائنا في المدارس، إنما حب الوطن سلوك وأفعال يجب أن نقوم بها لنثبت انتماءنا وولاؤنا الحقيقي الذي يعبر عنه بالتضحية والفداء بالنفس والمال والولد، فالجندي بثباته وصبره وحراسته للحدود هو حب للوطن، والشرطي الذي يسهر على أمن أبناء شعبه هو حب للوطن، والصانع في مصنعه والتاجر في متجره والفلاح في أرضه والكاتب في قلمه والشاعر في أبياته والرسام في ريشته والطبيب في مشرطه والطالب والمدرس والأب والأم كل هؤلاء إذا قاموا بدورهم على أكمل وجه فإنهم يحبون الوطن ويخدمون الوطن،

فلنا قدوه في دول الجوار عندما بدأت تلك المليشيات الحرب العبثية على وطننا الحبيب، كانت دول الجوار السباقة بالتصدي لتلك المليشيات براً وبحراً وجواً والوقوف بجانبنا بالدعم الانساني بمختلف انواعه مادياً ومعنوياً وسياسياً وعسكرياً إنها روح البذل والعطاء وروح التضحية والانتماء من أجل الوطن والتضحية بالمصالح الشخصية والفئوية الضيقة في سبيل حب الوطن، وما أكثر الذين يقسمون كل يوم بالدفاع عن الوطن وسلامة أراضيه، ولا يدخرون جهدا في تدميره ونهب ثرواته وخيراته من أجل مصالحهم الضيقة، وخدمة لرغباتهم ونزواتهم لنجدهم كثيرون حول السلطة وقليلون حول الوطن، يقولون ما لا يفعلون وهمهم الأكبر تعزيز سلطاتهم وتقوية نفوذهم، ولعل الكارثة الكبرى التي تنغرس في قلوب الشباب وأبناء الوطن هو انعدام الأمل والشعور بالغربة وهم في أوطانهم.

فالوطن ليس مجرد تراب أو أشجار أو جبال أو أنهار أو بحار أو شمس أو هواء، الوطن هو بأبنائه بشبابه بنظامه الحاكم بقوانينه باحترامه لحرية وكرامة الإنسان وحقوق الإنسان الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، الوطن يعلو و لا يعلى عليه،

الوطن فوق الجميع وأكبر من الجميع . أمور يجب اتباعها لغرس حب الوطن في النفوس لذا فمن الواجب علينا كآباء ومربين ومدربين ونشطاء شباب أن نبث روح الأمل في حب الأوطان في نفوس أبناءنا وشبابنا وأجيالنا فهم فلذات أكبادنا وهم قادة الغد، وهم رجال المستقبل والغد المشرق، فلا يجب علينا أن نبقي طويلاً نبكي على الأطلال فمن يوقد شمعة في الظلام خير من أن يلعن الظلام ألف مرة، فرب سنبلة زرعت في الأرض ملأت الوادي سنابل، فنحن أحوج ما نكون لزارعي الأمل أكثر من حاجتنا لزارعي القمح فنحن في زمن زرع فيه روح الانهزام والتشاؤم واليأس والإحباط. لذلك كان لا بدّ لنا كأهل وأخوة في الإنسانية والوطنية أن نقف وقفة رجل واحد دفاعاً عن كل ما في هذا الوطن من مقدرات، فهي ملك لنا، ولا سبيل لأن نشاركها مع أي أحد مهما كان.